دلالة النظر في إثبات وجود الله

د. إبراهيم بن خالد المخلف

الأستاذ المساعد بجامعة الجوف قسم الدراسات الإسلامية
المملكة العربية السعودية

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه. قال تعالى : ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾ [سورة إبراهيم الآية]10 . وقال أيضاً : ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ ﴾ [سورة محمد الآية 19] . فمن المعلوم عند أهل الحق أنّ الله تبارك وتعالى موصوف بصفات أزلية أبدية تليق بجلاله . وفيما يجب إعتقاده والإيمان به أنّ الله موجود وأنّ وجوده ليس كوجودنا لأنّ وجودنا له بداية ونهاية وأمّا الله تعالى فوجوده بلا بداية أي لم يسبق وجوده عدم ، ووجوده بلا نهاية أي لا يلحقه فناء .

فليعلم أن الذي ينكر صفة الوجود لله تعالى فيقال له : معطّل لأنه نفى صفة من صفات الله تبارك وتعالى الواجبة له بإجماع المسلمين . أما الدليل على وجود الله تعالى فإثباته بثلاثة طرق : إما بطريق الفطرة ، وإما بطريق الخبر وهما الكتاب والسنة الصحيحة، وإما بالدليل العقلي المحض .

لقد جاءت الأدلة المتنوعة في كتاب الله عز وجل وسنة رسوله ﷺ على إثبات وجود الله وربوبيته ، وهي كثيرة ومتنوعة وسلهة وواضحة ؛ لأن الناس أحوج ما يكونوا إلى معرفة ربهم وخالقهم ، وحاجتهم إلى معرفة أشد من حاجتهم للماء والهواء

والطعام . ويمكننا أن نقول ابتداءً إن كل شيء يدل على وجود الله سبحانه وتعالى، إذ ما من شيء إلا وهو أثر من آثار قدرته سبحانه ، وما ثم إلا خالق ومخلوق ، وق نبه القرآن الكريم إلى دلالته كل شيء على الله تعالى ، كما في قوله عز وجل:﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ [الأنعام : 164]. وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد . وقد سئل أعرابي سؤالاً موجهاً إلى فطرته السليمة ، فقيل له : كيف عرفت ربك ؟ فقال : البعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج، وأرض ذات فجاج ، وبحار ذات أمواج ، وجبال وأنهار ، أفلا يدل ذلك على السميع البصير ؟[1] .

وقد ذكر لنا القرآن استدلالات لأنبياء الله ورسله حين كانوا يناظرون ويجادلون بعض الملاحدة الذين ينكرون وجود الله ، وإن كانوا في قرارة أنفسهم ليسوا كذلك ، وإنما كانوا يقولون هذا نكيراً وعناداً واستعلاءً في الأرض . وإليك هذين المثالين من كتاب الله جل وعلا : المثال الأول : إبراهيم عليه السلام مع الطاغية النمورد بن كنعان . قال عز وجل : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

فقوله تعالى : ﴿ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ﴾ [سورة البقرة الآية 258] أي : أن (الدليل على وجوده سبحانه حدوث هذه الأشياء المشاهدة بعد عدمها وعدمها بعد وجودها) [2] . المثال الثاني : موسى عليه السلام مع الطاغية فرعون مصر ، وما كان بينهما من المقاولة والجدل ، وما استدل به موسى على إثبات وجود الله تعالى . وقد جاء ذلك في مواضع من القرآن . قال تعالى : ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ [سورة طه : 49 – 50] . أي أنه قد ثبت وجود وخلق وهداية للخلائق ،ولا بد لها من موحد وخالق وهاد ، وذلك الخالق والموحد

(1) الأدلة العقلية النقلية على أصول الاعتقاد ، (رسالة ماجستير) تأليف سعود بن عبد العزيز العريفي

(2) تفسير القرآ، العظيم لابن كثير 463/1 ، طبعة الشعب .

والهادي هو الرب سبحانه ، ولا رب غيره . وفي موضع آخر قال سبحانه : ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [سورة الشعراء : 23 – 28].

فالمقصود أن منهج الأنبياء في الاستدلال على ربوبية اللهووجوده هو استشهاد بالكون بأجمعه ، واستطاق الفطرة بما تعرفه وتقر به من حاجة الخلق إلى الخالق ، وافتقار البرية إلى البارئ . وما أجمل ما قاله الإمام الخطابي [1]. حول هذه القضية ، يقول رحمه الله: " إنك إذا تأملت هيئة هذا العالم ببصرك ، واعتبرتها بفكرك ، وجدته كالبيت المبني المعد فيه ما يحتاج إليه ساكنه ، من ألة وعتاد ، فالسماء مرفوعة كالسقف ، والأرض ممدودة كالبساط ، والنجوم مجموعة والجواهر مخزونة كالذهائر ، وأنواع النبات مهيئة للماعم والملابس والمشارب ، وأنواع الحيوان مسخرة للراكب مستعملة في المرافق ، والإنسان كالملك للبيت المخول فيه ، وفي هذا كله دلالة واضحة على أن العالم مخلوق بتدبير وتقدير ونظام ،وأن له صانعاً حكيماً تام القدرة بالغ الحكمة "[2].

واتباعاً لمنهج الأنبياء عليهم السلام في اثبات وجود الله سبحانه وتعالى اتجه تفكيري الكتابة في هذا المجال فاخترت لهذه الدراسة عنوان [دلالة النظر في اثبات وجود الله] .

أهمية الموضوع :

تكمن أهمية هذا الموضوع في الآتي :

1. كون هذه الطريقة في الاثبات هي منهج الأنبياء جميعاً عليهم السلام.
2. دعوة القرآن الكريم إلى إعمال النظر في الكون المنظور والمنطوق لحصول نتيجة هذا النظر وهي الإيمان والتوحيد.
3. إعمال النظر والبحث عن الحقائق وظيفة الإنسان الذي كرمه الله سبحانه وتعالى على سائر المخلوقات وذلك بقفله الذي طلبه الله سبحانه وتعالى باعماله إعمالاً صحيحاً مفيداً.

---

(1) الإمام العلامة ، الحافظ اللغوي ، أبو سليمان ، حمد بن محمد بن أبراهيم بن خطاب البستي الخطابي ، صاحب التصانيف ، ت 388هـ .

(2) نقله البيهقي في كتابه الاعتقاد ، ص 39 ، طبعة دار الآفاق ، بيروت 1401هـ.

منهج البحث :

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الاستطرائي النظري الذي يقوم على جمع الأدلة الثقيلة من الكتاب والسنة وآثار السلف في منهج اثبات وجود الله كما يقوم على لفت النظر إلى الكون المنظور على الطريقة التي حث عليها القرآن الكريم والتي تحصل بها القناعة وتنمو بها الإيمان.

خطة البحث :

تمهيد :

الكون كله آية على وجود الله :

قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[سورة فصلت: 53]. ويقول سبحانه: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران: 190 – 191].ويقول الله عز وجل : ﴿ وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴾ [الذاريات:20].

فكم هي الآيات العظيمة التي نشاهدها في الآفاق ، وعظيم صنع الله عز وجل فيها، وإتقانه سبحانه في خلقها ، ولكن تكرار ذلك أمام الحس والنظر جعلها مألوفة ، وتعطل ، أو قل التفكير والتأمل في كونها آيات عظيمة توقظ الحس ، وتملأ القلب رهبة وتعظيماً لخالقها سبحانه . ولكن ما أن ينتقل العبد بفكره من إلف العادة والتكرار إلى التفكير في هذه الآيات العظيمة ، والمعجزات الباهرة حتى يكون له شأن آخر في تعامله مع هذه الآيات ، وما تثمر في القلب من تعظيم ومحبة وإجلال وخشوع لخالقها سبحانه وتعالى . يقول ابن الجوزي – رحمه الله تعالى [1] ((عرض لي في طريق الحج خوف من العرب ، فسرنا على طريق خيبر ، فرأيت من الجبال الهائلة والطرق

(1) صيد الخاطر لابن الجوزي ص 275 – 276 دار ابن خلدون هو جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر بن عبد الله بن القاسم بن النضر ابن القاسم بن محمد بن عبد الله القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، القرشي التيمي البكري البغدادي الفقيه الحنبلي الحافظ المفسر الواعظ المؤرخ الأديب المعروف بابن الجوزي ،

العجيبة ما أذهلني ، وزادت عزمة الخالق عز وجل في صدري ، فصار يعرض لي عند ذكر الطرق نوع تعظيم لا أجده عند ذكر غيرها . فحت بالنفس : ويحك أعبري إلى البحر وانظري إليه وإلى عجائبه بعين الفكر ، تشاهدي أهوالاً هي أعظم من هذه . ثم اخرجي إلى الكون والتفتي إليه ؛ فإنك ترينه بالإضافة إلى السماوات والأفلاك كذرَّةٍ في فلاةٍ. ثم جولي في الأفلاك ، وطوفي حول العرش ، وتلمَّحي ما في الجنان والنيران . ثم اخرجي عن الكُلِّ، والتفتي إليه؛ فإنك تشاهدين العالم في قبضة القادر الذي لا تقف قدرته عند حدٍّ)).

يقول سيد قطب – رحمه الله تعالى [1] - في تفسيره للآيات التي في ختام سورة آل عمران: . ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ الآيات : " والقرآن يوجه القلوب والأنظار توجيهاً مكرراً إلى هذا الكتاب المفتوح ؛ الذي لا تقتأ صفحاته تقلب ، فتبدي في كل صفحة آية موحية ، تستحيش في الفطرة السليمة إحساساً بالحق المستقر في صفحات هذا الكتاب ، وفي تصميم هذا البناء ورغبة في الاستجابة لخالق هذا الخلق ، ومودعه هذا الحق ، مع الحب له والخشية منه في ذات الأوان . وأولو الألباب ؛ أولو الإدراك الصحيح يفتحون بصائرهم لاستقبال آيات الله الكونية ، ولايقيمون الحواجز، ولا يغلقون المنافذ بينهم وبين هذه الآيات. ويتوجهون إلى الله بقلوبهم قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، فتتفتح بصائرهم ، وتشف مداركهم، وتتصل بحقيقة الكون التي أودعها الله إياه، وتدرك غاية وجوده ، وعلة نشأته ، وقوام فطرته بالإلهام الذي يصل بين القلب البشري ونواميس هذا الوجود.

فمشهد السماوات والأرض ، ومشهد اختلاف الليل والنهار ، لو فتحنا له بصائرنا وقلوبنا وإدراكنا ، لو تلقناه كمشهد جديد تتفتح عليه العيون أو مرة ، لو استنقذنا حسنا من همود الإلف ، وخمود التكرار لارتعشت له رؤانا ، ولاهتزت له مشاعرنا ، ولأحسنا أن وراء مافيه من تناسق لا بد من يد تنسق ، ووراء ما فيه من نظام لا بد من حكيم يدبر ، ووراء ما فيه من إحكام لا بد من ناموس لا يتخلف ، وأن هذا كله لا يمكن أن يكون خداعاً ، ولا يمكن أن يكون جزافاً ، ولا يمكن أن يكون باطلاً . وإنه يقرن ابتداء بين توجه القلب إلى ذكر الله وعبادته : ﴿ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾ [سورة آل عمران :191]، وبين التفكر في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ، فيسلك هذا التفكر مسلك العبادة ، ويجعله جانباً من مشهد الذكر ، فيوحي بهذا الجمع

(1) في ظلال القرآن ،لسيد قطب ، دار الشروق 1398هـ - 1978م .

بين الحركتين بحقيقتين هامتين:
الحقيقة الأولى: أن التفكر في خلق الله ، والتدبر في كتاب الكون المفتوح ، وتتبع يد الله المبدعة، وهي تحرك هذا الكون ، وتقلب صفحات هذا الكتاب هو عبادة لله من صميم العبادة ، وذكر لله من صميم الذكر . لو اتصلت العلوم الكونية التي تبحث في تصميم الكون ، وفي نواميسه وسننه ، وفي قواه ومدخراته ،وفي أسراره وطاقاته ؛ لو اتصلت هذه العلوم بتذكر خالق هذا الكون وذكره ، والشعور بجلاله وفضله ؛ لتحولت من فورها إلى عبادة لخالق هذا الكون وصلاة ، ولاستقامت الحياة – بهذه العلوم – واتجهت إلى الله . ولكن الاتجاه المادي الكافر ، يقطع مابين الكون وخالقه ، ويقطع ما بين العلوم والحقيقة الأزلية الأبدية ؛ ومن هنا يتحول العلم – أجمل هبة من الله للإنسان – لعنة تطارد الإنسان، وتحيل حياته إلى جحيم منكرة ، وإلى خواء روحي يطارد الإنسان كالمارد الجبار!

والحقيقة الثانية: أن آيات الله في الكون لا تتجلى على حقيقتها الموحية إلا للقلوب الذاكره العابدة . وأن هؤلاء الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم – وهم يتفكرون في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار – هم الذين تتفتح لبصائرهم الحقائق الكبرى المنطوية في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار ، وهم الذين يتصلون من ورائها بالمنهج الإلهي الموصل إلى النجاة والخير والصلاح . فأما الذين يكتفون بظاهر من الحياة الدنيا ، ويصلون إلى أسرار بعض القوى الكونية – بدون هذا الاتصال – فهم يدمرون الحياة ويدمرون أنفسهم بما يصلون إليه من هذه الأسرار ، ويحولون حياتهم إلى جحيم نكد ، وإلى قلق خانق . ثم ينتهون إلى غضب الله وعذابه في نهاية المطاف ! يقول الله عز وجل : ﴿إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِى تَجۡرِى فِى ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة: 164].

علق ابن كثير – رحمه الله تعالى – على هذه الآية بقوله : " يقول تعالى : چ إِنَّ فِى خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ چ سورة البقرة: 164؛ تلك في ارتفاعها واتساعها وكوكبها لاسيارة والثوابت ودوران فلكها، وهذه الأرض في انخفاضها وجبالها

وبحارها وقفارها ووهادها وعمرانها وما فيها من المنافع ﴿ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ هذا يجئ ثم يذهب ويخلفه الآخر ويعقبه ، لا يتأخر عنه لحظة ؛ كما قال تعالى : ﴿ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ ﴾ [يس: 40] ، وتارة يطول هذا ويقصر هذا ، وتارة يأخذ هذا من هذا ثم يتقارضان ، كما قال تعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ ﴾ (فاطر: من الآية 13) أي: يزيد من هذا في هذا ، ومن هذا في هذا. ﴿ وَٱلۡفُلۡكِ ٱلَّتِي تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ ﴾ أي: في تسخير البحر لحمل السفن من جابن إلى جانب لمعاش الناس، والانتفاع بما عند أهل ذلك الإقليم ، ونقل هذا إلى هؤلاء ، وما عند أولئك إلى هؤلاء. ﴿ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾ ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤ لِيَأۡكُلُواْ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتۡهُ أَيۡدِيهِمۡۚ أَفَلَا يَشۡكُرُونَ ٣٥ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡأَزۡوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ ﴾ [يس: 33 – 36]. (وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٖ) أي: على اختلاف أشكالها وألوانها ومنافعها وصغرها وكبرها، وهو يعلم ذلك كله ويرزقه لا يخفى عليه شيء من ذلك ، كما قال تعالى :﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزۡقُهَا وَيَعۡلَمُ مُسۡتَقَرَّهَا وَمُسۡتَوۡدَعَهَاۚ كُلّٞ فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ﴾ (هود: 6). ﴿ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ﴾ أي : تراة تأتي بالرحمة ، وتارة تأتي بالعذاب ، وتارة تأتي مبشرة بين يدي السحاب ، وتارة تسوقه ، وتارة تجمعه، وتارة تفرقه، وتارة تصرفه، ﴿ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾: يُسخّر إلى ما يشاء الله من الأراضي والأماكن ، كما يصرفه تعالى. ﴿ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴾ أي : في هذه الأشياء

دلالات بينة على وحدانية الله تعالى ؛كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ (آل عمران: 190 – 191)[1].

وعلق سيد قطب – رحمه الله تعالى – على هذه الآية بقوله : " وهذه الطريقة في تنبيه الحواس والمشاعر جديرة بأن تفتح العين والقلب على عجائب هذا الكون؛ العجائب التي تفقدنا الألفة جدتها وغرابتها وإيحاءاتها للقلب والحس ، وهي دعوة للإنسان أن يرتاد هذا الكون كالذي يراه أول مرة مفتوح العين ، متوفز الحس ، حي القلب . وكم في هذه المشاهد المكرورة من عجيب ، وكم فيها من غريب . وكم اختلجت العيون والقلوب وهي تطلع عليها أول مرة ، ثم ألفتها ففقدت هزة المفاجأة ، ودهشة المباغتة ، وروعة النظرة الأولى إلى هذا المهرجان العجيب [2].

المبحث الأول

مفهوم دلالة النظر وأهميته

المطلب الأول: مفهوم الدلالة والنظر:

الدلالة في اللغة: مصدر الفعل دلّ ، وهو من مادة (دلل) التي تدل فيما تدل على الإرشاد إلى الشيء والتعريف به ومن ذلك " دله على الطريق ، أي سدده إليه" ، " وفي التهذيب دللت بهذا الطريق ، دلالة : عرفته ، ثم إن المراد بالتسديد : إراءة الطريق [3] . ومن المجاز " الدالّ على الخير كفاعله " ، " ودله على الصراط

(1) تفسير ابن كثير عندالآية 164 من سورة البقرة.

(2) أفلا تتفكرون للشيخ / عبد العزيز بن ناصر الجليل الموسوعة الشاملة www.islamport.com

(3) الزبيدي ، تاج العروس ، طبعة الكويت ، ج28 ، ص 497 – 498.

المستقيم[1] .

الدلالة في الاصطلاح: الدلالة كما عرفها الجرجاني المتوفي 816هـ : "هي كون الشيء بحالة ، يلزم من العلم به ، العلم بشيء آخر ، والشيء الأول هو الدال ، والثاني المدلول" وهذا معنى عام لكل رمز إذا علم ، كان دالا على شيء آخر ثم ينتقل بالدلالة من هذا المعنى العام ، إلى معنى خاص بالألفاظ باعتبارها من الرموز الدالة[2] . ويرتبط لفظ "الدلالة" في الاصطلاح بدلالته في اللغة ، حيث انتقلت اللفظة من معنى الدلالة على الطريق ، وهو معنى حسي إلى معنى الدلالة على معاني الألفاظ ، وهو معنى عقلي مجرد . ومعنى دلالة اللفظ : هي كون اللفظ إذا أطلق فهم منه المعنى الموضوع له[3] . فالمقصود بدلالة اللفظ هنا دلالة اللفظ الوضعية ، وهي تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

1. دلالة مطابقة: وهي دلالة اللفظ على تمام معناه الذي وضع له كدلالة لفظ "إنسان" على الحيوان الناطق . فاللفظ والمعنى متطابقان.
2. دلالة تضمن : وهي دلالة اللفظ على جزء معناه الذي وضع له . كدلالة لفظ الإنسان على الحيوان فقط ، أو على الناطق فقط . لأن الحيوان جزء من الإنسان وكذلك الناطق.
3. دلالة التزام : وهي دلالة اللفظ على لازم معناه كدلالةلفظ " إنسان" على الكتابة أو الضحك . وكدلالة لفظ " أسد " على الشجاعة . ويشترط فيها أن يكون اللزوم ذهنياً بمعنى أن الذهن ينتقل من ملزوم اللفظ إلى لازمه . فلو قدر عدم هذا الانتقال الذهني ، لما كان اللازم مفهوما[4] .

أما النظر في اللغة:

النظر لغة : الانتظار ، وتقليب الحدقة نحو المرئي ، والرحمة ، والتأمل . ويتميز بالمعدي من حروف الجر[5] .

وفي الاصطلاح : هو الفكر المؤدي إلى علم أو ظن . قال إمام الحرمين[6] في الشامل " : الفكر هو انتقال النفس من المعاني انتقالا بالقصد ، وذلك قد يكون بطلب علم أو

---

(1) الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص 134.

(2) فريد عوض حيدر ، علم الدلالة دراسة نظرية وتطبيقية ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، 2005م ، ص11.

(3) علم أصول الفقه أ.د. إبراهيم نورين ، ج 2، ص 14.

(4) المستصفى للغزالي ، ج 1 ، ص 30 ، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ، ج 1 ، ص 13 ، المحصول للرازي ، ج1، ص 300.

(5) الزركشي ، البحر المحيط ، ج 1 ص 61.

(6) عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني الشافعي المشهور بإمام الحرمين ان إماماً في مذهب الشافعي توفي عام 478هـ ، انظر : وفيات الأعيان 3/ 167 سير أعلام النبلاء 468/18.

ظن ، فيسمى نظرا . وقدد لا يكون كأكثر حديث النفس ، فلا يسمى نظرا بل تخيلا وفكرا . قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ ﴾ [سورة يونس : 101]. وقال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلۡإِبِلِ كَيۡفَ خُلِقَتۡ ١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ رُفِعَتۡ ١٨ وَإِلَى ٱلۡجِبَالِ كَيۡفَ نُصِبَتۡ ١٩ وَإِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَيۡفَ سُطِحَتۡ ﴾ [سورة الغاشية : 17 – 20] .

فالفكر أعم من النظر . فالحاصل أن قصد الناظر الانتقال من أجزاء الحد ، وقال إمام الحرمين في البرهان " : حقيقة النظر تردد ف يا،حاء الضروورياتومراتبها ، وقال فيما بعد : عندنا مباحثة في أنحاء الضروريات ومراتبها وأساليبها ، أما حصر النظر في الضروريات فلا يستقيم ، فإنه قد يكون في غير الضروريات ضرورة) [1] ،وقال القاضي أبو بكر[2] : النظر هو الفكر الذي يطلب به من قام به علما أو ظنا ، وهو مطرد في القاطع والظني . كذا حكاه عنه الآمدي [3] .واستحسنه ، وأجاب عما اعترض به عليه ، ثم اختار خلافه ، وليس لشيء واحد حدان مختلفان . وقال : هو الفكر في الشيء المنظور فيه طلبا، لمعرفة حقيقة ذاته أو صفة من صفاته ، وقد يفضي إلى لاصواب إذا رتب على وجهه ، وقد يكون خطأ إذا خولف ترتيبه . وقال الغزالي[4] . في الاقتصاد[5] .(تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله).

المطلب الثاني: أهمية النظر:

النظر في القرآن :

أنزل الله القرآن ليتدبر ويتفكر فيه ويعمل به لا مجرد تلاوته مع الإعراض عنه ، فإن الله سبحانه وتعالى قيد الانتفاع بالقرآن في قوله تعالى : ﴿ وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ ٦٩ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾

---

(1) الزركشي ، البحر المحيط ، ج 1 ص 62.

(2) المستصفى للغزالي ، ج 1 ، ص 30 ، الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ، ج 1 ، ص 13 ، المحصول للرازي ، ج1 ، ص 300.

(3) علي بن محمد الآمدي ، الإحكام في علم أصول الأحكام (162/4).

(4) محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الشافعي أبو حامد الفقيه توفي عام 505هـ ، أنظر : وفيات الأعيان 14/ 216 ، وسير أعلام النبلاء 19 / 302.

(5) الاقتصاد في الاعتقاد للغزالي 57 – 58.

[يس: 69 – 70]. فأخبر الحق تبارك وتعالى أن الانتفاع بالقرآن والإنذار به إنمايحصل لمن هو حي القلب ، وهو فهمه ومعرفة المراد منه فمن رزقه الله ذلك أبصر الحق والباطل عياناً بقلبه كما يرى الليل والنهار[1] .

فالله سبحانه وتعالى دعا عباده إلى النظر والتفكر في القرآن الكريم ليتوصل الإنسان إلى معالم الإيمان الحق بالله عز وجل والإقرار بوحدانيته وكما صفاته وقدرته على الخلق والإبداع في الكون والأنفس والآفاق.

يقول ابن القيم رحمه الله[2]: (إن التفكير في القرآن والنظر في آياته نوعان هما : تفكر فيه ليقع على مراد الرب تعالى منه ، وتفكر في معاني ما دعا عباده غلى التفكر فيه . فالأول : تفكر في الدليل القرآني ، والثاني تفكر في الدليل العياني ، فالأول تفكر في آياته المسموعة ، والثاني : تفكر في آياته المشهوة ، فالتفكر يوقع صاحبه من الإيمان على ما لا يوقعه العلم المجرد فإن التفكر يوجب له من انكشاف حقائق الامور وظهورها له وتمييز مراتبها في الخير والشر)[3].

وإذا تأملنا ما دعا إليه الحق تبارك وتعالى عباده إلى التفكر في آياته المسطورة والمنظورة توصلت إلى كمال قدرته وتدبيره وكمال حكمته وإحسانه قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾ [سورة النساء :82] ، وقال تعالى : ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ [سورة ص 29] ، وقال تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [سورة يونس 101].

يشترك الإنسان مع الحيوان في وظيفة الإدراك الحسي ، غير أن الإنسان يتميز عن الحيوان بما وهبه الله تعالى من عقل ومن قدرة على التفكير تمكنه من النظر والبحث في الأشياء والأحداث ، واستخلاص الجزئيات من الكليات واستنباط النتائج من المقدمات.

فوجود العقل عند الإنسان وقدرته على التفكير والاختيار والإرادة هو الذي جعله أهلاً للتكليف بالعبادات ، وتحمل المسؤولية ، وهذا هو ما جعله أهلاً للخلافة في الأرض . وقد دعا القرآن الناس دعوة صريحة إلى التفكير :

---

(1) إغاثة اللهفان لابن القيم ج1 ، ص 45.

(2) أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز بن مكي زيد الدين الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن قيم الجوزية ، ت 751هـ.

(3) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج1 ص 236.

فقد حث الله تعالى الإنسان على التفكير والنظر في الكون والتأمل في الظواهر الكونية المختلفة ، قال تعالى : ﴿ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴾ [سورة العنكبوت الآية 20] . وقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴾ [سورة آل عمران الآية 190].

كما حث الإنسان على تحصيل العلم ومعرفة سنن الله في جميع ميادين العلوم المختلفة، قال تعالى : ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة الغاشية 17-20] ، وقم يحث القرآن الإنسان على التفكير والبحث العلمي في الظواهر الطبيعية فقط ، وإنما حثه أيضاً على التفكير في نفسه وفي أسرار تكوينه البيولوجي والنفسي ، وهو بذلك يدعوه إلى ارتياد ميادين العلوم البيولوجية والفسيولوجية والطبية والنفسية ، قال تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ ﴾ [سورة الطارق 5-7] . بل إن التفكير والتفكر يرفع من قيمة الإنسان لما له من أهمية لأنه داخل في قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الزمر الآية 9]. وقد حط القرآن من شأن من لا يستخدم عقله وتفكيره بأن جعله أدنى درجة من الحيوان، قال تعالى : ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة الأنفال الآية 22]. ويتضح حث الكريم الرحمن من خلال كتابه العظيم على دعوة الناس إلى التعقل والتفكير من ورود كثير من اليات التي تتضمن مثل هذه العبارات : "أفلا يعقلون" ، "أفلا يتفكرون" ، "لعلكم تتفكرون" ، "لعلكم تعقلون" ، كما وردت مشتقات "العقل" في القرآن الكريم (49 مرة) كما وردت مشتقات الفكر فيه (18

مرة). ودعا رسول الله ﷺ كذلك إلى :

أولاً: التفكير في آيات الله وفي بديع خلقه ، فالتأمل والتفكر في خلق الله من أفضل أنواع العبادة ونهى عن التفكر في ذات الله ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما : إن قوماً تفكروا في الله عز وجل فقال النبي ﷺ : (تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق) [1].

وذلك النهي يرجع لعدة أسباب : لقصور العقل الإنساني عن إدراك ذات الله وصفاته فالله عز وجل ليس كمثله شيء ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [سورة الشورى الآية 11].

إن العقل الإنساني لا يستطيع أن يدرك ما وراء العالم المحسوس إلا بفضل الله تعالى عن طريق الوحيين الكتاب والسنة.

ثانياً: يوجه الرسول ﷺ أصحابه رضي الله عنهم ويشجعهم على التفكير والاستدلال العقلي فيما يستجد من مشكلات الحياة مما لم يرد فيه حكم في القرآن والسنة ويوصي الحكام بالاجتهاد بالرأي ويرغبهم في ذلك بالثواب في الآخرة ، فعن عمرو بن العاص أن الرسول ﷺ قال : (إذا حم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر) [2].

المبحث الثاني
النظر في القرآن الكريم والسنة وفضل ذلك

(1) رواه أبو الشيخ الأصبهاني في كتاب العظمة 1 / 216 والبيهقي في شعب الإيمان 1 / 35 وحسنة الألباني في صحيح الجامع 1 / 572 .

(2) متفق عليه : صحيح البخاري مع الفتح – كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة – باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ 13/ 330 ، حديث 7352.وصحيح مسلم – كتاب الأقضية – باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ 3 / 1342 ، حديث 1716.

المطلب الأول: النظر في القرآن الكريم :

إن التفكر في خلق الله تعالى يوقف الإنسان على حقيقة بديعة هي متانة الخلق والتدبير في كل مفردات الكون وأجزائه ، وإن النظرة السليمة التي ينبغي أن نسلكها نحن المسلمين ليست التي تقف بنا عند ظواهر الأشياء ، بل التي تحملنا من الظاهر المشهود إلى الباطن المحجوب ، ومن معرفة المخلوق إلى معرفة الخالق عز وجل الذي خلق الإنسان وأبدع له النظام الذي يسير عليه ، ألم تر إلى قول اله تعالى : ﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٖۖ فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ ٣ ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ٤ ﴾ [سورة الملك 3-4]، فإنها تكشف عن عظمة خلق الله تعالى للسماوات السبع تكاملاً وتناسقاً ، واللطيف في التعبير أنه حدثنا عن السماوات السبع ، ولكنهعندما نفى وجود التناقض نفاه عن كل خلق الله عز وجل ؛ فقد يسلم الإنسان بأن خلقاً من خلقه تعالى كالسماوات محكم ومتقن ،ولكنه يشك في وجود هذه الحقيقة عندما يفكر في خلق آخر ؛ فإذا به يتساءل:

لماذا خلق الله الذباب والميكروبات المهلكة ؟ لماذا الزلازل التي يذهب ضحيتها الألاف من الناس ؟ ولكن عليه أولاً أن يقيس ما يعرفه من خلق الإنسان بما لا يعرفه . وثانياً أن يعالج شكهباليقين ، فلا يسترسل مع وساس الشيطان .

بل يظل باحثاً عن الحقيقة حتى يكتشفها ، ومن هنا جاء الخطاب الإلهي الكريم في سورة آل عمران يدعو كل فرد من أبناء البشر للنظر والتفكر في خلق الله ، ودراسة الظواهر المختلفة ، لأننا كلنا مسؤولون عن معرفة الحقيقة والوصول إلى درجة اليقين من الإيمان بالله تعالى ، فإلى جانب البصر ينبغي أن يعمل الإنسان بصيرته أيضاً لأن العين نافذة القلب على الحياة ، ولهذا أثنى على المتفكرين : ﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١ ﴾ [سورة آل عمران190-191].

المطلب الثاني: النظر في السنة :

إن المتأمّل في أحاديث المصطفى ﷺ ليلحظ أنّ كثيراً منها وجّه إلى إعمال العقل والتفكير والتدبّر في الكون ، وما فيه من آيات دالة على وحدانية الله تعالى

وكمال قدرته ، جاء عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : لما كان ليلة من الليالي قال : (يا عائشة ذريني أتعبد الليلة لربي) قلت : والله إني لا أحب قربك وأحب ما سرك ، قالت : فقام فتطهر ثم قام يصلي ، قالت : فلم يزل يبكي حتى بل حجره ، قالت : ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل لحيته ، قالت : ثم بكى فلم يزل يبكي حتى بل الأرض فجاء بلال يؤذنه بالصلاة فلما رآه يبكي قال : يا رسول الله لم تبكي وقد غفر الله لك ما تقدم وما تأخر ؟ قال : (أفلا أكون عبداً شكوراً لقد نزلت عليّ الليلة آية ويل لمن قرآها ولم يتفكر فيها : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة :164]. [1]

عن عمران بن حصين أنّ رسول الله ﷺ قال : (يدخل من أمتي الجنة سبعون ألفاً بغير حساب ، ثّم نهض ودخل منزله ، فخاض الناس في أولئك ، فقال بعضهم : فلعلّهم الذين صحبوا رسول الله ﷺ وقال بعضهم فلعلّهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً ، وذكروا أشياء ، فخرج رسول الله ﷺ فأخبروه فقال : هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيّرون وعلى ربّهم يتوكّلون) [2] .

وعن عبد الله بن عمر – رضي الله عنهما – قال : قال رسول الله ﷺ : (إنّ من الشجر شجر لا يسقط ورقها وإنّها مثل المسلم فحّثوني ما هي ؟ فوقع الناس في شجر البوادي ، ووقع في نفسي أنّها النخلة فاستحييت ، ثمّ قالوا حدّثنا ما هي يا رسول الله ؟ قال : هي النخلة) [3] .

---

(1) رواه ابن حبان في صحيحه أنظر الإحسان 386/2 – 387 وصححه المحقق شعيب الأرناؤوط وصححه الألباني انظر السلسلة الصحيحة 147/1.

(2) أصله في الصحيحين أنظر صحيح البخاري مع الفتح – كتاب اللباس – باب البرود والحبر والشملة 287/10 حديث 5811. ومسلم كتاب الإيمان – باب الدليل على دخول طوتنف من المسلمين الجنة بغير حساب وعلا عذاب 197/1 حديث 216.

(3) متفق عليه رواه البخاري : صحيح البخاري كتاب العلم باب قول المحدث حدثنا 1 / 175 حديث 61 ومسلم كتاب صفات المنافقين باب مثل المؤمن مثل النخلة 4 / 2165 حديث 2811.

ومن ذلك يتبّن لنا أنّ النبي ﷺ كان حريصاً على حثّ أصحابه على استخدام عقولهم ، وإعطائهم الفرصة الكافية للتفكير ، وذلك لإيقاظ واستثمار ما لديهم من طاقات وقدرات ، واستغلالها لحلّ كل ما يعترض طريقهم من مشكلات ومواقف . قال أبو الدرداء رضي الله عنه : " تفكّر ساعة خيرٌ من قيام ليلة "[1] .

المطلب الثالث: فضل النظر :

لأن التفكر عبادة لله عز وجل بأسمائه وصفاته وأفعاله ،والانقطاع إليه تعالى عن غيره ، والمداومة على هذا العمل والممارسة له يورث الاتعاظ ودوام التوجه إليه تعالى ، وانقطاع النفس عن كل ما يقطعها عنه ،وقد ورد الحث الأكيد على ذلك في القرآن الكريم ، ولم لا يكون التفكر من أشرف العبادات ، وهو الذي يولد المعرفة عند العبد ، ولقد دعا الإسلام إلى التفكر من أجل أن تكتسب المعرفة، وعند بعضهم أن تفكر ساعة يعدل عبادة سنة ، والسبب في كون ساعة من التفكر والتأمل تعادل سنة من العبادة هو أن الإنسان يستطيع في ساعة واحدة من التفكر الصحيح المثمر تغذية إيمانه وتقويته ،ولما سُئل ذو النون بم عرفت ربك ؟ قال : (عرفت ربي بربي ولولا ربي ما عرفت ربي)[2] أي من خلال آياته .

كما أن التفكر في آلاء الله ونعمه يولد المحبة ،لقوله ﷺ من حديث ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : (أحِبُّوا الله لِمَا يغذُوكم من نعمِهِ وأخبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي لُحِّبي)[3] .

واقرأ إن شئت : ﴿ أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ ﴾ [سورة لقمان 20]، كما أن التفكير في وعيد الله عز وجل يولد الخوف من التقصير ؛ وتدبر قوله تعالى : ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾

(1) ذكره البيهقي في شعب الإيمان 1 / 135 والسيوطي في تفسيره الدر المنثور 2 / 409 ، والقرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن 4 / 314 – دار عالم الكتب – الرياض وابن أبي شيبة في مصنفه 3 / 307 – الدار السلفية.

(2) أنظر : مختصر تاريخ دمشق لابن منظور 134/3 ومدارج السالكين لابن القيم341/3.
وذا النون هو ثوبانبن إبراهيم وقيل الفيض بن أحمد الفيضي أنظر النجوم الزاهرة 257/1.

(3) رواه الترمذي في سنن كتاب المناقب – باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ 622/5 حديث 3789 وقال هذا حديث حسن غريب ، والحاكم في المستدرك 150/3 وصححه ووافقه الذهبي وضعفه الالباني في ضعيف الجامع الصغير ص 27 حديث 176.

وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾ ﴾ [سورة الليل 14- 21] ، ولما قراها عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما استطاع ان يبرحها ، وراح يرددها حتى أصبح . كما أن التفكر في حال المسلمين اليوم يولد الألم عند العبد المتأمل.

وللتفكر في الكون آثار طيبة في حياة الإنسان ومنها : أنه يورث الحكمة ، ويحي القلوب ، ويغرس فيها الخوف والخشية من الله عز وجل ، ويكشف عن عظمة الخالق ، ويجعل المرء يُقِر بوحدانية الله تعالى ويتواضع لعظمتة ويحاسب نفسه على أخطاءها ويزداد إيماناً.

المبحث الثالث
النظر في مفردات الكون الفسيح

المطلب الأول: النظر في النفس :

حث الحق تبارك وتعالى الإنسان إلى النظر والتفكر في النفس الإنسانية ، كيف خلق الله الإنسان وسواه في أحسن صوره والقرآن عندما دعا العبد إلى النظر والفكر في مبدأ خلقه ، ليقف الإنسان على أعظم الدلائل وكريم الصفات لخالقة وفاطره ، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه التي بين جنبيه.

يقول ابن القيم رحمه الله[1] (فالنظر إلى النطفة بعين البصيرة وهي قطرة من ماء مهين ضعيف مستقذر لو مرت بها ساعة من الزمان فسدت وأنتنت ، كيف استخرجها رب الأرباب مذللة الانقياد على ضيق طرقها واختلاف مجاريها إلى أن ساقها إلى مستقرها ومجمعها وكيف قدر اجتماع ذينك الماءين مع بعد كل منهما عن صاحبه ، وساقها من أعماق العروق والأعضاء وجمعهما في موضع واحد ؟ وجعل لهما قارراً مكيناً لا يناله هواء يفسده ، ولا برد يجمده ، ولا عارض يصل إليه ، ولا آفة تتسلط عليه ، ثم قلب تلك النطفة البيضاء المشربة عليقة حمراء تضرب إلى السواد ، ثم جعلها مضغة لحم مخالفة للعلقة في لونها وحقيقتها وشكلها وهيأتها وقدرها وملمسها ولونها ، وكيف كساها لحماً ركبه وجعله وعاء لها وغشاء وحافظاً وجعلها حاملة له مقيمة له فاللحم قائم بها وهي محفوظة به وكيف صورها فأحسن صورها ،

قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ

[1] مفتاح ار السعادة لأبن القيم ج1 ص 238/237 بتصرف.

عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا ۚ وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ [سورة الحج الآية 5].

يقول الله عز وجل: ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [سورة فصلت : 53]. ويقول سبحانه: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [سورة الذاريات: 21] . ويقول عز وجل: ﴿ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴾ [سورة طارق : 5 – 7].

يقول الإمام ابن كثير – رحمه الله تعالى – في قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ ﴾ سورة فصلت الآية 53 ، كالآيات التي في السماء والأرض وما يحدثه تعالى من الحوادث العظيمة الدالة للمستبصر على الحق ، ﴿ وَفِي أَنفُسِهِمْ ﴾ : مما اشتملت عليه أبدانهم من بديع صنع الله ،وعجائب صنعته، وباهر قدرته ، وفي حلول القوبات والمثلات في المكذبين ونصر المؤمنين[1] . ويقول عند آية الذاريات : " قال قتادة : من تفكر في خلق نفسه عرف أنه إنما خلق ولينت مفاصله للعبادة " 2. ويعلق سيد قطب – رحمه الله تعالى – على قوله عز وجل: ﴿ وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ فيقول: وهذا المخلوق الإنساني هو العجيبة الكبرى في هذه الأرض . ولكنه يغفل عن قيمته ، وعن أسراره الكامنة في كيانه ، حين يغفل قلبه عن الإيمان وحين يحرم نعمة اليقين . وهو يمثل عناصر هذا الكون وأسراره وخفاياه:

وتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر[3].

([1]) تفسير ابن كثير عند الآية 53 من سورة فصلت .

([2]) رواه الأصبهاني في كتاب العظمة 234/1 ، والسيوطي في الدر المنثور 619/7 طبعة دار الفكر ، بيروت.

([3]) ذكره إسماعيل حقي الحنفي في تفسيره روم المعاني ونسبه لعلي بن أبي طالب وفي .... 215/8، دار إحياء التراث العربي.

وحيثما وقف الإنسان يتأمل عجائب نفسه التقى بأسرار تدهش وتحير : تكوين أعضائه وتوزيعها ، وظائفها وطريقة أدائها لهذه الوظائق ، عملية الهضم والامتصاص ، الغدد وإفرازها وعلاقتها بنمو الجسد ونشاطه وانتظامه ، تناسق هذه الأجهزة كلها وتعاونها ، وتجاوبها الكامل الدقيق . وكل عجيبة من هذه تنطوي تحتها عجائب ، وفي كل عضو وكل جزء من عضو خارقة تحير الألباب. قال تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴾ [سورة الذاريات 21]. وقال تعالى : ﴿ فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ سورة الطارق الآية 5.

وأول شيء أذكره من هذا الموجز من عجائب بعض المخلوقات العظيمة هو نظر المرء إلى نفسه حيث أمره الله بذلك . ، وقال تعالى : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ ﴾ [سورة الروم 20]

وقال تعالى: ﴿ قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ [سورة عبس 17-22]. وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنۡهُ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [سورة القيامة 37-40] . وقال تعالى: ﴿ أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة المرسلات17-23].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على بيان مبدأ الإنسان ومنهاه ، ليتذكر أولو الألباب وليعلم كل إنسان أن ذكر النطفة وما ينتهي إليه ليس مجرد لفظ يسمع ويترك التفكر ف معناه وما يترتب عليه من الثمرات والنتائج غنما هو مأمور بالنظر والتفكير والاعتبار حول هذه النطفة التي هي قطرة من ماء لو تركت ساعة من الوقت بعد خروجها لفسدت وأنتنت ، فكيف خلقها الله وأخرجها ربُّ العزة والجلال من بين الصلب والترائب ، وخلق الإنسان من بين ذلك ، وكيف خلق الجنين منها وأمده بدم الحيض في الرحم ليكون له كالغذاء ،والرحم كالوعاء ينمو ويكبر حتى حين خروجه .. ثم كيف نقلت هذه المضغة من حال إلى حال أخرى حتى تصورت إنسانا ونفخت فيه

الروح متكاملا بعظام وأعصاب وعروق وأوتادولحم وتقاسيم عجيبة من رأس وسمع وبصر وأنف ويدين ورجين وغير ذلك مما يعجز جميع البشر أن يخلقوا مثله ، ثم بعد خروجه أنظر العجائب المركبة فيه من الإحساس وتحرك مفاصل العظام التي هي ثلاثة وستون مفصلا والعضلات التي تزي على خمسمائة عضلة ، وقد جعل لكل عضلة وعضو عملا يخصه ، وانظر مع كثرة بني آدم لا يماثل واحد آخر فلا بد من مميز بينهما ، وانظر معتبراً كل ذلك مما يتذكر به ألوو الألباب إن هذا الخلق لهم ربٌّ واحد خلقهم أول مرة وهو بكل شيء عليم ، وعلى كل شيء قدير ، وإليه يرجعون فإذا عرفت أيها العبد هذه العجائب وغيرها في نفسك فتفكر فبعد أن نظرت أيها الإنسان وفكرت في نفسك فعليك النظر والتفكر.

إن الجنس البشري عبارة عن خلية واحدة تحمل كل رصيد الجنس البشري من الخصائص؛ وتحمل معها خصائص الأبوين والأجداد القريبين . فأين تكمن هذه الخصائص في تلك الخلية الصغيرة ؟ وكيف تهتدي بذاتها إلى طريقها التاريخي الطويل ، فتمثله أدق تمثيل ، وتنتهي إلى إعادة هذا الكائن الإنساني العجيب قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الروم] . وإن وقفة أمام اللحظة التي يبدأ فيها الجنين حياته على الأرض ، وهو ينفصل عن أمه ويعتمد على نفسه ،ويؤذن لقلبه ورئتيه بالحركة لبدء الحياة ، إن وقفة أمام هذه اللحظة وأمام هذه الحركة لتدهش العقول وتحير الألباب ، وتغمر النفس بفيض من الدهش وفيض من الإيمان لا يقف له قلب ولا يتماسك له وجدان! قال تعالى : ﴿ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَـٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة الجاثية الآية 14].

قال الله عز وجل: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ

(1) سيد قطب ، في ظلال القرآن (3379/6 ، 3380) دار الشروق " في السنة 1398هـ / 1978م.

ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [سورة الروم20-23] .

يقول الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – عند هذه الآيات : " نوَّع سبحانه الآيات في هذه السورة ،فجعل خلق السماوات والأرض واختلاف لغات الأمم وألوانهم آيات للعالمين كلهم ؛ لاشتراكهم في العلم بذلك وظهوره ووضوح دلالته ، وجعل خلق الأزواج التي تسكن إليها الرجال وإلقاء المودّة والرحمة بينهم آيات لقوم يتفكّرون ؛ فإن سكون الرجل إلى امرأته وما يكون بينهما من المودّة والتعاطف والتراحم أمر باطن مشهود بعين الفكرة والبصيرة ، فمتى نظر بهذه العين إلى الحكمة والرحمة والقدرة التي صدر عنها ذلك دلّه فكره على أنه الإله الحقّ المبين الذي أقرَّت الفطر بربوبيته وإلاهيته وحكمته ورحمته ، وجعل المنام بالليل والنهار للتصرف في المعاش وابتغاء فضله آيات لقوم يسمعون؛ وهو سمع الفهم وتدبّر هذه الآيات وارتباطها بما جعلت آية له مما أخبرت به الرّسل من حياة العباد بعد موتهم ، وقيامهم من قبورهم ، كما أحياهم سبحانه بعد موتهم وأًلهمهم للتصرّف في معاشهم ؛ فهذه الآية إنما ينتفع بها من سمع ما جاءت به الرّسل وأصغى إليه واستدلّ بهذه الآية عليه .

فتبارك الذي جعل كلامه حياة للقلوب ، وشفاء لما في الصدور . وبالجملة فلا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبّر والتفكّر ؛ فإنه جامع لجميع منازل السائرين ، وأحوال العاملين ، ومقامات العارفين ، وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكّل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الأحوال التي بها حياة القلب وكماله . كذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة التي بها فساد القلب وهلاكه؛ فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبّر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها ؛ فإذا قرأه بتفكّر حتى مرّ بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كرّرها ولو مائة مرة ولو ليلة ؛ فقراءة آية بتفكّر وتفهّم، وأنفع للقلب وأعى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن . وهذه كانت عادة السّلف ؛ يردّد أحدهم الآية إلى الصباح (1).

---

(1) انظر : مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية (192/1 ، 193) باختصار ، الناشر : دار الكتب العلمية – بيروت .

يقول ابن كثير – رحمه الله تعالى – عند هذه الآية : " يقول تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ ﴾ الدالة على عظمته وكمال قدرته أنه خلق أباكم آدم من تراب ، ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ فأصلكم من تراب ، ثم من ماء مهين ، ثم تصور فكان علقة،ثم مضغة ، ثم صار عظاماً ، شكله على شكل الإنسان ،ثم كسا الله تلك العظام لحماً ، ثم نفخ فيه الروح ،فإذا هو سميع بصير . ثم خرج من بطن أمه صغيراً ضعيف القوى والحركة ، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار بيني المدائن والحصون ، ويسافر في أقطار الأقاليم ، ويركب متن البحور ، ويدور أقطار الأرض، ويتكسب ويجمع الأموال ، وله فكرة وغور ، ودهاء ومكر ، ورأي وعلم ، واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحيبه . فسبحان من أقدرهم وسيّرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعايش والمكاسب ، وفاوت بينهم في العلوم والفكرة ، والحسن والقبيح ، والغنى والفقير، والسعادة والشقاوة ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾(1).

يقول ابن القيم – رحمه الله تعالى -(2) : " وغذا تأملت ما دع ي الله سبحانه في كتابة عباده إلى التفكر فيه أوقعك على العلم به سبحانه وتعالى وبوحدانيته وصفات كماله ونعوت جلاله من : عموم قدرته وعلمه ، وكمال حكمته ورحمته وإحسانه ، وبرّه ولطفه وعدله ورضاه وغضبه ، وثوابه وعقابه ؛ فبهذا تعرّف إلى عباده وندبهم إلى التفكّر في آياته. ونذكر لذلك أمثلة مما ذكرها الله سبحانه في كتابه ليستدلّ بها على غيرها : فمن ذلك خلْقُ الإنسان وقد ندب سبحانه إلى التفكّر فيه والنظر في غير موضع من كتابه كقوله تعالى: ﴿ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴾ [الطارق:5] ، وقوله تعالى: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ [الذاريات: 21] ، وقال تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم

(1) تفسير ابن كثير الآية 20 من سورة الروم.
(2) مفتاح دار السعادة لأبن قيم الجوزية ، الناشر : دار الكتب العلمية ، بيروت.

﴿ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا ﴾ [الحج: من الآية 5] ، وقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴾ [القيامة:36-40] ، وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾ [المرسلات:20-23] ، وقال: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس: 77] ، وقال: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [سورة المؤمنون:12-14].

فالقرآن : يدعو العبد إلى النظر والفكر في مبدأ خلقه ، ووسطه ، وآخره ؛ إذ نفسه وخلقه من أعظم الدلائل على خالقه وفاطره ، وأقرب شيء إلى الإنسان نفسه ، وهو غافل مُعرض عن التفّر فيه ؛ ولو فكر في نفسه لزجره ما يعلم من عجائب خلقها عن كفره ؛ قال الله تعالى: [عبس:17-20] ؛ فلم يكرر سبحانه على أسماعنا وعقولنا ذكر هذا لنسمع لفظ النطفة والعلقة والمضغة والتراب ، ولا لنتكلم بها فقط ، ولا لمجرد تعريفنا بذلك ، بل لأمر وراء ذلك كله هو المقصود بالخطاب ، وإليه جرى ذلك الحديث.

المطلب الثاني: النظر في المخلوقات المدركة ببعض الحواس :

التفكر في مخلوقات الله يفتح أبواباً مغلقة من نور البصيرة في العلوم والإفهام وتحرير الإنسان من الغفلة والجهل والعصيان وقد أثنى الله على المتفكرين في كتابه العزيز . قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [سورة آل عمران: 191]. وقال تعالى: ﴿ إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ [سورة آل عمران: 190]، فعلى العبد أن ينظر في هذا الكون نظر تفكر وتدبر واعتبار ليزداد إيماناً ويقيناً . على أن كل ما في الوجود هو

خلق الله وأن كل شيء خلق لحكمه قد تعلم أو لا تعلم أو يعلم بعض دون الآخر لأن في مخلوقات الله عجائب وغرائب لا تحيط بها العلوم والأفكار ولا تحصيها الأقلام . قال تعالى: ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [سورة الكهف الآية :109].

فالنظر إلى الهواء اللطيف الذي يدرك بالحس ولا يرى بالعين قد جُعل لحايتنا ومنافعنا ، والنظر إلى عجائب الجوّ وما يطرأ عليه من الغيوم والرعد والبرق ونزل الأمطار والشهب والصواعق ... كل ذلك لمنافع وحكم وأسرار لا يعلمها إلا الله ، وقد أشار القرآن إلى ذلك بقوله : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ [سورة الدخان38]، وانظر كيف عظَّم الله أمر السماوات والنجوم في كتابه العزيز ، فما من سورة إلا وهي مشتملة على ذكرها وتعظيمها ، وجاء القسم في القرآن بها ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ﴾ [سورة البروج 1] ، ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴾ [سورة الطارق 1]، ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ ﴾ [سورة الطارق 11]، ﴿ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴾ [سورة الذاريات 7]، ﴿ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴾ [سورة الشمس 5]، ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴾ [سورة الشمس 1] ، ﴿ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴾ [سورة الشمس 2]، ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴾ [سورة التكوير15 – 16]، ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴾ [سورة النجم 1]، ﴿ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ [سورة الواقعة 75-76]، إلى غير ذلك مما ورد في القرآن العزيز . وأمر عباده بالتفكر في خلق السماوات والأرض مما يدل على أن السماوات والأرض والكواكب فيها عجائب وأمور وشئون عظيمة لا نعلمها ، وقد نعلم منها في المستقبل ما لا نعلمه الآن ، وهل تظن أن النظر والتفكر مجرد نظر إلى زرقة السماء وضوء الكواكب أو النظر غلى الأرض مجرد نظر إلى سطحها؟ كلا لقد كانت البهائم تشارك بني آدم في ذلك إنما على الإنسان النظر إلى ذلك كله بتفكر واعتبار أولاً وبفعل الأسباب المؤدية إلى بعض العلوم التي لا نعلمها لنعلمها ونستفيد منها. وقد أخبرنا الله أنه يعلِّمنا ما لم نعلم . قال تعالى: ﴿ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [سورة العلق 5]،

وإنما متفاوتون في العلم فنسأل عما جهلناه قال تعالى: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة يوسف 76].

فأدر أيها العاقل فكرك في آيات الله في تلك الكواكب في دورانها وطلوعها وغروبها مستمرة مع اختلاف ألوانها وصفاتها وحركاتها ، ومرتبة بحساب مقدر مع عظم حجمها وصغر مرآها لبعدها عنا ، فسبحان من خلقها ثم يطويها كطي السجل للكتب. وأعظم من ذلك أن النجوم والسماء قد أمسكت من دون عمد نراها ولا معلقة بشيء يمسكها مع ما فيها من عظيم صنع الله وكل العالم لهم السماء كالسقف الواحد ، وإن الأرض كروية وكلها في مرأى الأعين كأنها مبسوطة لعظمها وسعتها ، وفيها من جنود الله الذين لا يحصيهم إلا هو ، وما يعلم جنود ربك إلا هو ، مع ذلك كله وغيره يقول الله عز وجل: ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة الإسراء 85]وقال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يس36].

فسبحان الله رب العالمين رب العرش العظيم . وقصارى القول : إن التفكير السليم من أسباب السعادة في الدنيا والآخرة وإن علم الله لا يحيط به أحد من خلقه وإنه لمن أجهل الجهل وأخطر الخطر أن يقول الإنسان في مخلوقات الله التي لا يعلمها إذا أخبر عنها بغير علم فيسارع إلى إنكارها لكونها خرجت عن محيط إدراكه وفهمه القاصر السيئ ، لأنه لم يستدل على ما لا يعلمه بما يعلمه على أن الله على كل شيء قدير وإن كل ما يتوصل إليه من العلم فهو لا يخرد عن خلق الله وقدرته العظيمة الشأن ، وإنما على المرء أن لا يتسرع إلى هذا القول الأحمق والاعتقاد الفاسد حتى يتيقن عدم ما أنبئ به أو يتحقق ثبوته ، فيزداد العاقل إيماناً بربه وأنه خلق ويخلق ما لم نعلم ويُعلم الإنسان ما لم يعْلم.

خاتمة

إن من أعظم الحقائق وأجلاها في الفطر والعقول حقيقة وجود الله سبحانه وتعالى، وهذه الحقيقة التي اتفقت العقول على الاعتراف بها – وإن أنكرتها بعض الألسن ظلما وعلوا ـ ، فهي من الوضوح بمكان لا تنال منه الشبهات ، وبمنزلة لا ترقى إليها الشك.

ففي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد

وقد تنوعت دلائل وجود الله سبحانه ابتداء من ضمير الإنسان وفطرته ، إلى كل ذرة من ذرات الكون ، فالكل شاهد ومقر بأن لهذا الكون ربا ومدبرا وإلها وخالقا . وأولى هذه الدلائل :

دليل الفطرة ، ونعني به ما فطر الله عليه النفس البشرية من الإيمان به سبحانه ، وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الدليل فقال : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة الروم 30]، وهذا الدليل باق في النفس الإنسانية بقاء الإنسان نفسه في هذا الكون ، وإن غطته الشبهات ، ونالت منه الشهوات ، إلا أنه سرعان ما يظهر في حالات الصفاء وانكشاف الأقنعة . وفي الواقع أمثلة كثيرة تدلنا على ظهور الفطرة كعامل مؤثر في تغيير حياة الإنسان من الإلحاد إلى الإيمان ، ومن الضلال إلى الهدى ، فذاك ملحد عاين الموت تحت أمواج البحر ، فبرزت حقيقة الإيمان لتنطق على لسانه أن لا إله إلا الله ، فلما نجاه الله أسلم وحسن إسلامه.

وثمة دليل آخر لا يقل قوة وأهمية عن دليل الفطرة وهو ما أسماه أهل العلم بـ:دليل الحدوث ، ومفاد هذا الدليل أنه لابد لكل مخلوق من خالق ، وهذه حقيقة يسلم بها كل ذي عقل سليم ، فهذا الأعرابي عندما سئل عن وجود الله قال بفطرته السليمة : البعرة تدل على البعير ، والأثر يدل على المسير ، فسماء ذات أبراج ، وأرض ذات فجاج، ألا تدل على العزيز الخبير . فلله ما أحسنه من استدلال وما أعجبه من منطق

وبيان.

وقد نبه القرآن إلى هذا الدليل في مواضع كثيرة ، قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ۝٣٥ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [سورة الطور 35-36]، هما احتمالان لا ثالث لهما إلا الاعتراف بوجوده سبحانه والإيمان به.

الاحتمال الأول: أن يكون هذا الخلق من غير خالق ، وهذا مستحيل تنكره العقول إذ لا بد للمخلوق من خالق وللمصنوع من صانع ، فالعدم لا يخلق.

والاحتمال الثاني: أن يكونوا هم الذين خلقوا أنفسهم وخلقوا السماوات والأرض ، وهذا مستحيل أيضا إذ لم يدَّع أحد أنه خلق نفسه فضلا عن السماوات والأرض ، ولو ادعى مدع ذلك لاتهم بالجنون والهذيان ، إذ إن فاقد الشيء لا يعطيه ، فلم يبق إلا أن يكون لهذا الكون خالقاً وموجدا ، وهذا دليل غاية في القوة والبيان لذلك عندما سمعه جبير بن مطعم قال : " كاد قلبي أن يطير " كما ثبت ذلك البخاري . فهذه بعض الأدلة على وجوده سبحانه ، وهي أدلة من تأملها وأمعن النظر فيها لم يسعه إلا التسليم بها.

نتائج البحث :

من أهم النتائج التي نتوصل إليها من هذا البحث :

1/زيادة الإيمان بزيادة اليقين واطمئنان القلب: لا شكل أن ظهور هذه الخوارق العظيمة تزيد المؤمن إيماناً ويقيناً راسخاً ؛ وذلك لدلالتها على عظمة الله عز وجل وقهره لكل شيء وقدرته على كل شيء ، كما أن فيها قطعاً لوساوس وشبهات شياطين الجن والإنس الذين يثيرون الشكوك والشبهات على ما ذكره الله عز وجل من الغيبات التي لم تُعط العقول القدرة على إدراكها ولا على إدراك كنهها وكيفياتها . وفي الوقوف على هذه الخوارق والآيات العظيمة في النفس والمخلوقات والكون زيادة في اليقين وطمأنينة للنفس المؤمنة. ومن رحمة الله بنا أن أظهر لنا في هذه الحياة الدنيا من الخوارق التي تمت في عالم الحس المشاهد القطعي، لنستدل بها على ما غاب عنا مما لا تدرك العقول كنهه وكيفية حدوثه ، وليستدل بها على ربوبيته ، وألوهيته وأسمائه وصفاته ، وأنه على كل شيء قدير ، والفعال لما يريد . وهذا من رحمه الله عز وجل بعباده وفضله ومنته عليهم. إن إثبات وجود الله تبارك وتعالى من حيث هو موجود لم يكن من الأهداف القرآنية ، ولم يكن ذلك هدفاً من أهداف الرسول ﷺ أو أحد أصحابه ، لأن الإيمان بوجود الله تبارك وتعالى أمر فطرت عليه القلوب أعظم من فطرتها على الإقرار بغيره من الموجودات ، فهو سبحانه أبين وأظهر من أن يجهل فيطلب الدليل على وجوده. يقول ابن القيم : " سمعت شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية قدس الله روحه يقول : كيف يطلب الدليل على من هو دليل على كل شيء ؟ وكان كثيراً ما يتمثل بهذا البيت : وليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل ومعلوم ان وجود الرب تعالى أظهر للعقول والفطر من وجود النهار ومن لم ير ذلك في عقله وفطرته فليتهمهما". ولكن قد وجد من انحرفت فطرهم فقالوا بأن العالم لم يزل ؛ وهم الدهرية ، وقد رد القرآن الكريم على هؤلاء بما يضطر العقول إلى الاعتراف بالحق والرجوع إلى الصواب[1].

2/تعظيم الله عز وجل ومحبته والخوف منه وحده: ففي هذه الآيات العظيمة دلالة باهرة على عظمة الله عز وجل وقوته وقهره لكل شيء . والله سبحانه على كل شيء قدير ، ولا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء فهو الفعال لما يريد . وهذا كله يورث في قلب المؤمن مزيداً من التعظيم والإجلال والخوف والمحبة والعبودية لله تعالى ، ويذهب منه الخوف والرهبة من المخلوق الضعيف الذي ناصيته ونواصي

([1]) ابن حزم وموقفه من الإلهيات – عرض نقد ؛ للدكتور أحمد بن ناصر الحمد " ؛ (ص 138 – 150).

جميع الخلائق بيد الله تعالى .

3/الثقة في وعد الله تعالى ونصره للمؤمنين: إن الثقة بوعد الله سبحانه وتعالى من الأسس التي يجب على المسلمين أن يؤمنوا بها إيماناً راسخاً لا يشوبه ريب ، ولا يخالطه شك. قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ ﴾ [البقرة26] أما عدم الثقة بوعد الله عز وجل ، أو مجرد الشك في ذلك ، إنما هو من صفات الكفار والمنافقين والذين في قلوبهم مرض ن قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلاًۘ ﴾ [البقرة26].

4/ذلك أن الله عز وجل على كل شيء قدير وله جنود السموات والأرض ، وقد أظهر الله عز وجل لنا هذا في صراع ألويائه مع أعدائه ؛ وذلك في ما سخر لهم من بعض جنود السماوات والأرض ، وكذلك فيما خرق لهم من السنن الكونية الثابتة لما أطاعوه وصدقوه . وهذا يبث الأمل في نفوس المؤمنين في كل زمان ، وأن الله سبحانه على نصرهم لقدير ، ويسخر لهم جنود السماوات والأرض إن هم أخذوا بأسباب النصر وسننه1.

5/وقد وعد رسول الله (ﷺ) بالنصر والفرج مرات كثيرة ،وفي مناسبات عديدة ، فهذا بلال يُسحب على رمضاء مكة الملتهبة ، وتوضع على صدره الصخرة الكبيرة ، وهذا ياسر وزوجته سمية وابنهما عما تُشوى جلودهم بالسياط وبشتى أنواع العذاب ، وهذا عثمان بن عفان يلفه عمه في حصير ويدخن عليه ، ومصعب تحبسه أمه مقيَّداً في بيتهما ، والمسلمون يفتنون في دينهم ، ويُضيَّق عليهم في حياتهم وأرزاقهم ، وخباب كانت أم أنمار مولاته تسخن الحديد وتضعه على رأسه فيغلي منه يافوخه ، فيأتي رسول الله (ﷺ) شاكياً:يا رسول الله ألا تدعو لنا ألا تستنصر لنا . فيغضب رسول الله عليه الصلاة والسلام ويجيبه إجابة الواثق بوعد ربه : " والله ليتمنَّ الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه ، ولكنكم قوم تستعجلون[2].

([1]) أفلا تتفكرون للشيخ / عبد العزيز بن ناصر الجليل الموسوعة الشاملة www.islamport.com

([2])رواه خباب بن الأرت المحدث : ابن كثير ، المصدر : تفسير القرآن ، الصفحة أو الرقم 366/1 ، خلاصة حكم المحدث : صحيح